

# آراء المستشرق ريتشارد بيل في نظم سورة المؤمنین (عرض ونقد)

د. زكريا علي محمود الخضر<sup>(\*)</sup>

---

(\*) أستاذ مساعد - قسم أصول الدين - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة اليرموك - المملكة الأردنية الهاشمية.



## ملخص البحث:

قدم الباحث دراسةً حول آراء المستشرق ريتشارد بيل في بحثه (نظم سورة المؤمنين)، حيث ادعى بيل مدنية السورة بناءً على ورود بعض الموضوعات فيها، وزعم مدنيته كذلك؛ لورود بعض الكلمات فيها، مثل كلمة (طين) و (سبع طرائق)؛ حيث زعم عدم ذكرها في القرآن المكي.

وقد أقام بيل بحثه على الاحتمالات والظن، وأكثر من طعوناته حول أسلوب السورة، وادّعى وجود التكرار فيها، وذهب إلى أن التكرار يدل على إقحام بعض النصوص مكان أخرى، وأن هناك نصوصاً صيغت وأدخلت في هذه السورة في وقت متأخر، حيث لا رابط يربطها بموضوع السورة، ولم يقم هذا المستشرق بدراسة التناسب والانسجام في ترتيب الآيات.

وشكك في قرآنية بعض الآيات التي تضمنت الدعاء في السورة، ووجه طعوناً إزاء لغة السورة، مثل طعنه بكلمة (سامراً)، حيث يرى أن هذا الأفراد خطأ لغوي، ويقترح هذا المستشرق بدلاً منها كلمة (سامرين) بصيغة الجمع، وقد طعن - أيضاً - في حرف (أم) في قوله -تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

ورأى أن الأنسب وضع حرف (إذ)؛ ليدل على أن رسالة التوحيد لم تصل إلى آبائهم الأولين.

وقد ناقش الباحث هذه الادعاءات، وفنّدها بناءً على الأصول العلمية، وبيّن أن هذه الادعاءات لم تقم على دليل علمي، وأن نظم السورة وأسلوبها في غاية الانسجام مع موضوعاتها.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن نظم القرآن الكريم حارت العقول في بيانه، وانبهرت الأبواب في تفهّمه؛ ذلك أنه "لفظٌ ومعنى ورباطٌ جامعٌ"<sup>(١)</sup> كما قرر علماء الإعجاز، وقد أمسك أقحاح العرب وبلغاؤهم عن أن يقدحوا فيه بما يمسّ تركيبه أو ألفاظه أو معانيه على حدٍّ سواءٍ، ولم يقدم على مثل هذا إلا من سفه نفسه.

وقد كان هذا من شأن من أبغض القرآن وناصبه العداء، ومن هؤلاء: فئةٌ من المستشرقين الذين درسوا القرآن دراسةً هدفت إلى الطعن والتشكيك في آياته، منهم المستشرق ريتشارد بيل. وقد آثرت أن أقدم دراسةً حول بحثٍ قدمه هذا المستشرق بعنوان (نظم سورة المؤمنين) في مجلة العالم الإسلامي، سنة ١٩٢٣م، وقد انزلت قدم هذا المستشرق في ميدان البحث، مما اقتضى عرض طعوناته وانحرافاتة العلميّة في هذا المضمّار، ثم نقدها وفق الدراسة العلميّة المنضبطة.

وقد جاء هذا البحث مقسماً إلى ثلاثة مباحث، على النحو الآتي:

تمهيد: وفيه تعريف بالمستشرق ريتشارد بيل وآثاره العلميّة.

المبحث الأول: ادعاء المستشرق بيل مدنية سورة المؤمنين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على الموضوعات.

المطلب الثاني: دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على ورود كلماتٍ معينةٍ في السورة.

المطلب الثالث: دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على الاحتمال والظنّ.

المبحث الثاني: طعن بيل في أسلوب سورة المؤمنين ودعوى التكرار فيها، وفيه ثلاثة مطالب:

---

(١) انظر ما قاله الخطابي في بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢٧، وما قاله الجرجاني في دلائل الإعجاز، ص ٦٩.

**المطلب الأول:** دعوى أن وجود التكرار دليلٌ على إقحام بعض النصوص مكان أخرى.

**المطلب الثاني:** دعوى عدم الترابط والتناسق بين آيات سورة المؤمنين.

**المطلب الثالث:** دعوى أن في سورة المؤمنين نصوصاً تشكّلت خارجها ووضعت فيها.

**المطلب الرابع:** التشكيك في قرآنية بعض الآيات في سورة المؤمنين (الأدعية القصيرة).

**المبحث الثالث:** طعن بيل في لغة سورة المؤمنين، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** الطعن في كلمة (سامراً).

**المطلب الثاني:** الطعن في حرف (أم) الذي يفيد الإضراب.

**الخاتمة:** وفيها أبرز نتائج البحث.

وبعد، فآمل أن يمنّ الله - تعالى - عليّ - بالتوفيق والسداد في الرأي، وأن يكتب لهذا العمل والجهد القبول والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## تمهيد:

- تعريف بالمستشرق ريتشارد بيل وآثاره العلمية <sup>(١)</sup>:
- ريتشارد بيل مستشرق بريطاني ولد عام ١٨٧٦م، عمل في جامعة أدنبرة بين عام ١٩٣٧م - ١٩٣٩م، نشر ترجمةً للقرآن الكريم، وفي عام ١٩٥٣م نشر كتاب (مقدمة للقرآن)، وقد روجع هذا الكتاب من قبل المستشرق مونتجمري واط عام ١٩٧٠م.
- تركزت معظم بحوثه وكتابه حول القرآن الكريم.
- من أهم أعماله:
- ترجمة القرآن الكريم مع ترتيبٍ تاريخيٍّ للسور، وهو يقع في مجلدين طبع في جامعة أدنبرة ١٩٣٧م - ١٩٣٩م.
- أصل الإسلام في بيئته المسيحية، طبع في جامعة أدنبرة عام ١٩٢٥م.
- مقدمة للقرآن، طبع في جامعة أدنبرة عام ١٩٥٣م.
- له العديد من البحوث منها:
- الأثر المسيحي في أوائل الإسلام.
- من هم الحنفية؟
- نظم سورة المؤمنين.
- أصل عيد الأضحى.
- توفي عام ١٩٥٢م.

---

(١) Ede, David, Guide to Islam, the asian philosophies and religious, 70 Lincoln Street, U.S.A, P91.

- [http://en.wikipedia.org/wiki/Ritchard\\_Bell](http://en.wikipedia.org/wiki/Ritchard_Bell).

- [www: Answering - Islam.org/Books/ index.htm](http://www.Answering-Islam.org/Books/index.htm).

- نجيب العقيلي، المستشرقون، (٦٣/٢).

## المبحث الأول

### ادعاء بيل مدنيّة سورة المؤمنين

اضطرب المستشرق ريتشارد بيل في دراسته لسورة المؤمنين اضطراباً علمياً واضحاً، حيث انطلق من منطلقات بعيدة كل البعد عن المنهجية العلمية الصحيحة، وقد ظهر هذا الاضطراب العلمي نتيجة عدم إلمامه بعلوم القرآن التي لا يستغني عنها الباحث في مثل هذه الدراسات، ولم يقم هذا المستشرق بدراسة استقصائية لكلمات القرآن الكريم حتى يستبين مميزات المكي والمدني، وبدا قصوره جلياً؛ إذ لم يقدم معياراً معيّناً في الحكم على الآية بكونها مكيّة أو مدنيّة، فجاء بدعاوى لا دليل عليها، كشفت عن ضحالة في المعرفة بأسلوب القرآن الكريم ومشتقات ألفاظه ومعانيها، وقد قاده ذلك إلى دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على الموضوعات، وورود كلمات معيّنة في السورة، إضافةً إلى قيام دراسته على الاحتمال والظن، وهذا عرضٌ لهذه الأمور.

### المطلب الأول

#### دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على الموضوعات

يرى ريتشارد بيل أن قسماً كبيراً من آيات سورة المؤمنين مدنيّة، ويقدم على ذلك دليلين من الموضوعات المدنية:

الدليل الأول: قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ [المعارج: ٢٤- ٢٥]. الوارد في سورة المعارج، حيث يذهب بيل إلى "أنه مقطع مدني أخذ من هذه السورة (سورة المؤمنين) ونقل إلى المعارج؛ لأن الإنفاق في المال كان في العهد المدني" (١).

وما ذهب إليه بيل لا يتفق مع منطق الصواب؛ لأن الحق المعلوم الوارد في الآية قد يقصد به الزكاة المفروضة التي عين مقدارها وأنصبتها في

---

Bell, A Duplicate in the Koran, the composition of surah xxiii, P227.

(١)

المدينة، أو مطلق الصدقة، والذي يظهر أنها قد تكون فرضت في مكة ولم تحدّد مقاديرها وأنصبتها إلّا في المدينة، قال ابن كثير: (الظاهر أن التي فرضت في المدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، قال - تعالى - في سورة الأنعام - وهي مكة -: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] <sup>(١)</sup>، وقد ورد في القرآن المكي مدح فاعليها، قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، وهذا في سورة المؤمنين، فليس معنى هذا أن هذه الآية مدنية؛ لأنها تخبر عن أحوال المؤمنين في المستقبل، أي سيؤدون الزكاة في ما يستقبل من أيام، يعني في العهد المدني، والسري في التعبير ب- (فاعلون) حيث اختار الاسم على الفعل فقال: فاعلون، ولم يقل: يفعلون على ما قال الخطابي: (المبالغة في أدائها، والمواظبة عليه حتى يكون ذلك صفة لازمة لهم، فيصير أداء الزكاة فعلاً لهم مضافاً إليهم يعرفون به، فهم به فاعلون، وهذا المعنى لا يستقيم على الكمال إلا بهذه العبارة) <sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب ابن عاشور إلى أن المراد بالفعل هنا (الفعل المناسب لهذا المفعول، وهو: الإيتاء، فهو كقوله ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فلا حاجة إلى تقدير أداء الزكاة، وإنما أوتر - هنا - الاسم الأعم وهو (فاعلون)؛ لأن مادة (ف ع ل) مشتهرة في إساءة المعروف) <sup>(٣)</sup>.

وأما ما ذكر في وصف المؤمنين في سورة المعارج، فهو قريب من وصف المؤمنين في سورة المؤمنين، فسورة المعارج ذكرت أوصاف المؤمنين؛ لأنهم يستثنون من وصف الإنسان بالهلوع، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢]، ثم سيق الكلام للحديث عن وصف المؤمنين،

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٢١).

(٢) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٤٥.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨/ ١١).



وهذا تأكيد لوصفهم في سورة المؤمنين التي بدأت بالحديث عن صفاتهم وأفعالهم استقلالاً، فليس هذا تكراراً، وليس في هذا تداخلاً يوجب القول بمدنية هذه الآيات.

وقد بين ابن الزبير الغرناطي أن (سورة المؤمنين ذكر فيها الخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، والتنصيب على الزكاة، ولم يرد إفصاح بهذه الخصال الثلاث في سورة المعارج، وفي سورة المعارج مداومة على الصلاة، وتعيين ذوي الحق في المال بأنهم السائل والمحروم، وذكر التصديق بيوم الدين، والدين الجزاء، وذكر الإشفاق من عذاب ربهم، وأنه غير مأمون، وذكر القيام بالشهادة، ولم يقع إفصاح بهذه الخصال الخمس في سورة المؤمنين، وتوارد على الاتفاق في السورتين التساوي على حفظ الفروج، وذكر الأمانة، والعهد، والمحافظة على الصلاة) (١).

ويلاحظ أن الغرناطي أجمل الأمر، وترك بعض الصفات التي وردت في سورة المعارج ولم تُر في هذه السورة، مثل كلمة (معلوم) في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ فِيْ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤] في سورة المعارج، في حين أجمل الأمر في هذه السورة.

وقد أشار الكرمانى إلى ما اختص به كل من السورتين، فقال: (ذكر الخصال المذكورة أول سورة المؤمنين، وزاد فيها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]؛ لأنه وقع عقيب قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢]، وإقامة الشهادة أمانة يؤديها إذا احتاج إليها صاحبها؛ لإحياء حق، فهي إذن من جملة الأمانة، وقد ذكرت الأمانة في سورة المؤمنين، وخصت هذه السورة بزيادة بيانها، كما خصت بإعادة ذكر الصلاة؛ حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] بعد قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (٢).  
الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٢-٢٣] (٢).

(١) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ص ٣٦٤.

(٢) الكرمانى، أسرار التكرار في القرآن، ص ٢٠٨.

على أنه ينبغي البيان هنا أن إعادة ذكر بعض الآيات لا يشكل قدحاً في الأسلوب القرآني، فقد أعيد ذكر آيات بنصّها كما في سورة هود، حيث يقول الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتْ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود: ١١٠]، وهي متماثلة تماماً مع قوله - تعالى - في سورة فصلت: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتْ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فصلت: ٤٥].

**الدليل الثاني:** ورود قصة سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - في السورة، دليل على فكرة العداء لليهود:

وأما الدليل الثاني الذي أورده بيل على مدنية السورة، فهو ورود قصة سيدنا موسى - عليه السلام - حيث يرى "أن فكرة العداء كانت موجودة في ذهن النبي - عليه الصلاة والسلام - لليهود، بدليل قوله - تعالى -: ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]"<sup>(١)</sup>.

وهذا الرأي غير صحيح على الإطلاق لعدة أمور:

**أولاً:** ذكرت قصة سيدنا موسى - عليه الصلاة والسلام - في كثير من السور المكية من مثل سورة مريم، والأعراف، والأنعام وغيرها، فهل هذه مدنية؟!

وقد تكرر ذكر سيدنا موسى - عليه السلام - حوالي مئة وأربع وثلاثين مرة في القرآن الكريم، وأكثر ذلك في السور المكية.

**ثانياً:** إن أمر العداء المزعوم غير وارد، لأن الآية التي استدلت بها ﴿فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يعني بها قوم قريش وليس اليهود، قال ابن جزي: (الضمير لقريش، والغمرة: الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء، (حتى حين) هنا يوم بدر، أو يوم موتهم)<sup>(٢)</sup>.

(١) Bell, A Duplicate in the Koran, The composition of surah xxiii, P227.

(٢) ابن جزي الكلبى، التسهيل لعلوم التنزيل، (٣/٥٢).

ثالثاً: ورد في سورة هود المكية ما يقرب مما ورد في سورة المؤمنين، قال - تعالى:- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٩٦].

والذي جاء في سورة المؤمنين قوله - تعالى:- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿[المؤمنون: ٤٤-٤٥]، فهل يدل هذا على مدنية سورة هود؟! بل يمكن لـ (بيل) أن يدعي مدنية سورة الأنعام المكية، حيث ورد فيها ذكر سيدنا موسى -عليه السلام- وكتابه، إذ يقول الله - تعالى:- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا يُّدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]؟

## المطلب الثاني

### دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على ورود كلمات معينة في السورة

يدعي بيل أن في السورة ما يدل على مدنيته، حيث يرى أن هناك كلمات في السورة لم يرد ذكرها في القرآن المكي، ويقدم دليلين على ذلك:

- الدليل الأول: ما جاء في قوله - تعالى:- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

- \* الدليل الثاني: ما جاء في قوله - تعالى:- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]. "فكلمة الطين والطرائق لم يكن لها ذكر في القرآن المكي، فهي إذن مدنية" (١).

والحق أن بيل هنا لم يتفحص جيداً آيات الخلق الإنساني وخلق السموات،

Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii, P 228.

(١)

فقد ورد خلق الإنسان في سورة الرحمن، قال - تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، والمعروف أن الصلصال من ماء وطين، وورد في سورة الحجر قوله - تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، قال أبو السعود: ((من حمأ) من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء) (١).

وقد جاء في سورة الصافات - وهي مكية أيضاً- التصريح بخلق الإنسان من طين، ﴿فَأَسْتَفِينَهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]. فالكلمة الواردة في سورة المؤمنين - إذن - هي عين ما سبق في الآيات المذكورة آنفاً.

وقد وردت كلمة (طين) عشر مرات في القرآن الكريم: في الأنعام الآية الثانية، والأعراف الآية الثانية عشرة، و"المؤمنون" الآية الثانية عشرة، والسجدة الآية السابعة، والصافات الآية الحادية عشرة، و"ص" الآية الواحدة والسبعين والآية السادسة والسبعين، والذاريات الآية الثالثة والثلاثين، والإسراء الآية الواحدة والستين، والقصص الآية الثامنة والثلاثين، وجميع هذه السور مكية.

وأما ما ذكره بيل من أن كلمة (طرائق) لم تعرف في القرآن المكي، فهذا ليس صحيحاً؛ فهي من حيث المعنى لا تختلف عما ورد في الآيات التي تحدثت عن خلق السموات، فقد جاء في سورة الذاريات - وهي مكية -، قوله - تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ [الذاريات: ٧]، فالطرائق والحبك متقاربتان في المعنى، قال البيضاوي: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ ذات الطرائق، والمراد: إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب، أو المعقولة التي يسلكها النصار، وتتوصل بها إلى المعارف أو النجوم؛ فإن لها طرائق (٢).

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (٧٣/٥)، وانظر: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (٤٥٠/١)، الصاوي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجالين، (٢٩٦/٢).

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وبهامشه حاشية الكازورني، (٩٥/٥)، وانظر النسفي، مدارك التنزيل، (٥٩٨/٢).

وقال ابن كثير في تفسير (سبع طرائق): (قال مجاهد: يعني السموات السبع، وهذه كقوله - تعالى -: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء ٤٤]، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] وهكذا قال هاهنا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]<sup>(١)</sup>.

ومن يستقرئ ورود كلمة (طرائق) في القرآن الكريم يجد أنها جاءت في موضعين:

الموضع الأول: في هذه السورة، والموضع الثاني: في سورة الجن الآية الحادية عشرة، وكلاهما مكّي، فمن أين استنبط بيل أن هذه الكلمة مدنية؟

إن رأي بيل هنا يدعو للتساؤل حول منهجيته في الاستنتاج والاستنباط، أوليس هذا استقراء ناقصاً؟ وهل تبني الاستنتاجات في مثل هذا المجال على مجرد النظرة الجزئية أو التتبع الجزئي؟

وكيف أمكن لبيل أن يحكم على أن المراد بكلمة (طرائق) في هذه السورة بأنها مدنية؟ وما معيار المكّي والمدني في نظره؟

والحق أن هذا الرجل لم يقف على أصول معرفة المكّي والمدني، فلا عجب أن يقع في أخطاء علمية في هذا الجانب.

### المطلب الثالث

#### دعوى مدنية سورة المؤمنین بناءً على الاحتمال والظن

يذهب بيل إلى "أن قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٢٥).

ضَرَّ لِلْجُوفِ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرُّونَ ﴿٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٥ - ٧٦] آياتٌ مدنية؛ لأن العذاب غير محدد، فمن المحتمل أن يكون هذا العذاب المجاعة، أو القتل ببدر" (١).

يلاحظ هنا أن كلام بيل مبني على الاحتمال، وهذا لا يقوم على أساس علمي، فهذه الآيات مكية تخبر عن أمور مستقبلية، فسواء أكان العذاب بالمجاعة، أو بالقتل يوم بدر، فهذا لا يغير من مكية السورة شيئاً، وقد يخبر القرآن عن المستقبل بلفظ الماضي؛ بياناً لتحقيق وقوع المخبر عنه، قال القزويني: (التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه، وأن ما هو للوقوع كالواقع، كقوله - تعالى -: ﴿وَنَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، ومنه قوله - تعالى -: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله - تعالى -: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] (٢). وكم من آية في القرآن المكي جاء بيانها في العهد المدني من نحو قوله سبحانه: ﴿سَيُهِزُّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وقد كان ذلك ببدر، فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - (أن رسول الله (قال - وهو في قبة - يوم بدر: "اللهم، إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم، إن تشأ لا تعبد اليوم" فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله؛ ألححت على ربك - وهو يثب في الدرع -، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهِزُّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ (٣).

وقد وقع هذا العذاب الوارد ذكره في سورة المؤمنين لأهل مكة بالفعل (٤)، وقد جاء ذكره في سورة الدخان المكية، ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ

(١) Bell, A Duplicate in the Koran, The composition of surah xxiii, P 228.

(٢) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٧٧، وانظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٣ / ٤٣١)، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣ / ١٤٢).

(٣) البخاري، الجامع الصحيح المسند، كتاب التفسير، باب قوله - تعالى -: ﴿سَيُهِزُّمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾، رقم: ٤٥٩٤، (٤ / ١٨٤٥).

(٤) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مجلد ٨، (١٦ / ١٣١).

مُيِّنٌ ﴿١٠﴾ يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُم رَّسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْنُ الْيَوْمِ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ [الدخان: ١٠ - ١٦].

وقد دعا عليهم النبي ﷺ أَنْ يُوْخَذُوا بِسَنِينِ كَسَنِي يَوْسُفَ<sup>(١)</sup>، وعلى هذا فإن دعوى مدنية سورة المؤمنين بناءً على احتمال مدنية بعض آياتها، غير قائمة على دليل مقنع أو مستند علمي صحيح.

(١) أبو داود، سنن أبي داود، باب القنوت في الصلاة، حديث رقم ١٤٤٢، (٦٨/٢)، قال الألباني: صحيح، ينظر الألباني، صحيح أبي داود، الحديث رقم ١٢٧٩، (١/٢٧٠).

## المبحث الثاني

### طعن بيل في أسلوب سورة المؤمنين ودعوى التكرار فيها

عرض المستشرق ريتشارد بيل للأسلوب اللغوي والبياني في سورة المؤمنين، وأتى بآراء نمت عن تسرع في الحكم، وطعن في أسلوب السورة؛ حيث ادعى أن وجود التكرار في السورة دليل على إقحام بعض النصوص مكان أخرى، وزعم عدم الترابط والتناسق بين آيات السورة، وأن هناك نصوصاً صيغت خارج السورة ووضعت فيها، وشكك بقرآنية بعض الآيات في السورة، وذهب إلى أن بعض كلمات السورة حوى خطأً لغوياً.

ومما لا شك فيه أن عدم الإلمام بفنون اللغة وأساليب العربية، وقلة الدراية بأصول اللغة وقواعد النحو كان سبباً في هذه الدعاوى والمطاعن، التي وجهها بيل إزاء آيات هذه السورة الكريمة.

وفي هذا المبحث عرضٌ لتلك الآراء ومناقشة لها.

### المطلب الأول

#### دعوى أن وجود التكرار دليلٌ على إقحام بعض النصوص مكان أخرى

نظر ريتشارد بيل إلى سورة المؤمنين فوجد أن هناك تكراراً في بعض آياتها، وقرر أن هذا التكرار دليلٌ على إقحام بعض النصوص مكان أخرى، ومن وجهة نظره: فإن هذا التكرار يدل على التشابه في مضامين السورة، على معنى أنه تم إعادة تركيب هذه السورة.

ولكي يؤكد دعواه هذه فقد وضع يده على المقاطع القرآنية المتشابهة والمتكررة - على حد زعمه -، وهذه هي الآيات: قوله سبحانه: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، إذ يرى بيل "أن هذه



الآية لا علاقة لها بمضمون السورة، فهي مقحمة هنا<sup>(١)</sup>. ويرى أن هذا المقطع القرآني يتشابه مع الآية الرابعة والستين من السورة نفسها ﴿حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، حيث يرى بيل "أنَّ هذا النص لا يمكن معرفة مدى ارتباطه بآيات السورة إلا إذا قلنا بمدنيتها، حيث كان مترفو مكة وأغنياؤها يتوقعون العذاب من قبل النبي محمد -عليه السلام- حيث كان يهاجم قوافلهم، وكان على اطلاع بما يقوم من أفعال إزاءهم"<sup>(٢)</sup>، ولكي يوضح لنا أنَّ هناك تكراراً بين المقطعين يرى "أنَّ الفكرة بين النصين واحدة، حيث يصف كل نص وَقَعَ العذاب على الكافرين، فالعذاب في الآية التاسعة والتسعين هو الموت، والعذاب في الآية الرابعة والستين غير محدد، مما جعل المترفين من أهل مكة في حيرة واضطراب"<sup>(٣)</sup>.

يتضح من قول بيل السابق أنه يجهل أسلوب القرآن الكريم، وأنه قال بالتكرار من غير وقوف على معناه، إذ التكرار على ما يقرره الخطابي على نوعين:

نوع مذموم: وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول؛ لأنه حينئذ يكون فضلاً من القول ولغواً، وليس في القرآن من هذا النوع.

النوع الآخر: نوع محمود، فهو ما يحتاج إليه، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة في قدرها<sup>(٤)</sup>.

وقد عرفه الزركشي بأنه: (إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسي الأول لطول العهد به، فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه)<sup>(٥)</sup>.

Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii., P229. (١)

Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii., P229. (٢)

Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii., P229. (٣)

الخطابي، رسالة في بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٥٢. (٤)

الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٣/١٠). (٥)

والتكرار ليس عيباً في ذاته إذا انطوى على فوائد؛ إذ هو (من محاسن الفصاحة، وله فوائد، منها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، ومنها التأكيد، ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنها: إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول، أعيد ثانياً؛ تطريةً له، وتجديداً لعده، ومنها: التعظيم والتهويل)<sup>(١)</sup>.

وإذا دققنا النظر فيما قاله بيل لا نجده يدخل في مفهوم التكرار المذموم، ولا يقترب منه ألبتة؛ إذ كل من النصين يتحدث عن قضية تختلف عن الأخرى تماماً، فقوله - تعالى -: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، يعطينا مشهداً من مشاهد الحساب عند الموت، وهو تنبيه للإنسان إلى أنه ينبغي أن يعمل لأجل هذا اليوم، وعليه أن يحسب لهذا اليوم حسابه قبل فوات الأوان، قال ابن كثير: (في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، كما قال - تعالى -: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، وقال - تعالى -: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وقوله - تعالى -: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث)<sup>(٢)</sup>.

ثم ينجز الحديث إلى أحوال أهل الإيمان وأهل الكفر في الآخرة. على حين أن الآية الأخرى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤] تتحدث عن عذاب يوم القيامة بعد أن يوقع الله - تعالى - عليهم الحساب، ويؤاخذهم بأعمالهم، فهذا تهديد ووعد للكفار بما سيصبرون إليه، وقد مال الرازي إلى أن المقصود بالعذاب، هنا - هو العذاب الأخروي، إذ هو الذي يفاجئون عنده بالجوار، فيجابون بالرد، حيث قال: (وفي هذا وجهان: أحدهما: أراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر.

والثاني: أنه عذاب الآخرة.

ثم بين سبحانه أن المنعمين منهم إذا نزل بهم العذاب يجأرون؛ أي: يرتفع

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٢/ ٢٨٠-٢٨١).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٣٤٣).

صوتهم بالاستغاثة والضجيج لشدة ما هم عليه، ويقال لهم على وجه التبكيت: ﴿لَا تَجْعَرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ فلا يدفع عنكم ما يريد إنزاله بكم؛ دلّ بذلك سبحانه على أنهم سينتهون يوم القيامة إلى هذه الدرجة من الحسرة والندامة، وهو كالباعث لهم في الدنيا على ترك الكفر، والإقدام على الإيمان والطاعة، فإنهم الآن ينتفعون بذلك<sup>(١)</sup>. فهنا أفرد الحديث عن مصير الكفار، وهناك كان الحديث عن فريق الإيمان وفريق الكفر، وهذا ما جرت الآيات على ذكره بعد النص المذكور.

على أن قسماً من المفسرين ذهب إلى أن العذاب في قوله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، هو ما نالهم يوم بدر، من القتل والأسر أو الجوع، قال الزمخشري: (العذاب: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله (فقال: (اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف)<sup>(٢)</sup>، فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقِدَّ<sup>(٣)</sup>).

والأولاد يجأرون، الجوار: الصراخ باستغاثة؛ أي يقال لهم حينئذٍ (لا تجأروا)، فإن الجوار غير نافع لكم ﴿لَا تَجْعَرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٥] لا تغاثون ولا تمنعون منا، أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومغوثة<sup>(٤)</sup>، وزاد أبو حيان: (وقيل: عذاب الآخرة، والظاهر: أن الضمير في (إذا هم) عائد على مترفيهم؛ إذ هم المحدث عنهم، صاحوا حين نزل بهم العذاب، وقيل: يعود على الباقيين بعد العذاب، قال ابن جريج: المعذبون قتلى بدر، والذين يجأرون أهل مكة؛ لأنهم ناحوا واستغاثوا)<sup>(٥)</sup>.

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٨٥/٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سير يقد من جلد غير مدبوغ، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٩٧.

(٤) الزمخشري، الكشاف، (٣/١٩٥-١٩٦)، وانظر: النسفي، مدارك التنزيل، (٣/١٢٥ -

١٢٦)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٢/١٢٢).

(٥) أبو حيان، التفسير الكبير المسمى: البحر المحيط (٤١٢/٦).

ونذهب ابن عاشور - أيضاً - إلى أن المقصود بالعذاب هنا: إما عذاب الجوع، أو عذاب السيف الذي حل بهم يوم بدر، واستبعد أن يكون المقصود عذاب الآخرة، حيث قال: (وقيل العذاب: عذاب الآخرة، ويبعد هذا القول أنه سيذكر عذاب الآخرة في قوله - تعالى -: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى قوله - تعالى -: ﴿إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآية - إذن - تتحدث عن أمر مستقبلي أخبر الله تعالى عنه نبيه عليه السلام في مكة، وقد تحقق ذلك، إما في مكة، وهو الجوع، أو في المدينة بقتلهم يوم بدر، أو أن ذلك سيكون عذاب يوم القيامة، فالآية - إذن - مكية يمكن أن تفهم على هذا النحو، أما أن يدعى أنها مدنية بحكم أن ذلك يشكل تهديداً أكبر لأهل مكة، فليس له مدخل في الصحة، ألا ترى إلى قوله - تعالى -: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. أنها مكية، وقد تحقق ذلك في العهد المدني؛ فقد جاء في تفسير ابن كثير: (قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة، قال: لما نزلت ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله (وسلم يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾، فعرفت تأويلها يومئذ)<sup>(٢)</sup>، فهل يشكل علينا فهم الآية ولا يمكن إيضاحها إلا إذا عددناها من الآيات المدنية؟!.

## المطلب الثاني

### دعوى عدم الترابط والتناسق بين آيات سورة المؤمنين

لكي يثبت بيل أن ثمة تداخلاً في وضع الآيات وترتيبها، فإنه يقرر "أن قصة سيدنا نوح - عليه الصلاة والسلام - ذكرت بعد تعديد النعم، وهي مقحمة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨ / ٨٤).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٣٤١).

هنا؛ لأنها لا تتناسب مع الآيات التي قبلها والآيات التي بعدها من قصص، وسواءً أكانت قصة سيدنا نوح -عليه السلام- مرتبطةً بالنص الأصلي للسورة أم لا، فإنها تشير إلى التاريخ المتأخر، بدليل قوله - تعالى -: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ [المؤمنون: ٢٩ - ٣٠]، حيث كانت فكرة الهجرة في ذهن النبي ﷺ (١).

والذي يريده بيل هو: أن قصة سيدنا نوح - عليه السلام - ليست من نظم السورة، بل هي مقحمة، وهذا يدل على المراجعة والتنقيح، حيث رأى النبي - عليه الصلاة والسلام - أنَّ قصة الفلك تتناسب مع النعم السابقة؛ إذ تدل على قدرة الله - تعالى - فوضعها هنا.

والحق أن قصة نوح - عليه السلام - تتناسب مع ما قبلها أتمَّ مناسبة، ذلك أنَّ من جملة النعم التي أنعم الله - تعالى - بها على الناس نعمة الماء الذي أنزله بقدر، فأنشأ به جنات وفواكه كثيرة، ثم أوجد الأنعام التي تتعدد منافعها للناس، ومن جملة الركوب عليها، ومثل ذلك الفلك، تلك النعمة العظيمة التي تجري في البحر لمنفعة الناس، ثم انساق الحديث للتذكير بهذه النعمة، حيث حملت الذرية في الفلك المشحون، وذلك في قصة نوح - عليه السلام -، قال الشوكاني: (لما ذكر سبحانه الفلك أتبعه بذكر نوح - عليه السلام -؛ لأنه أول من صنعه، وذكر ما صنعه قوم نوح - عليه السلام - معه بسبب إهمالهم للتفكير في مخلوقات الله - سبحانه - والتذكر لنعمه عليهم) (٢).

ويمكن القول: إن الله - تعالى - ذكر الماء، وكيف أسكنه في الأرض في قوله - تعالى -: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، فجعله مسخراً للإنسان، وفي قصة نوح - عليه السلام - بين أنه يمكن أن يحوله بقدرته من نعمة إلى عذاب.

(١) Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii, P 228.

(٢) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (١٧٤/٢).

وقد ذكر البقاعي مناسبةً أخرى في العلاقة بين خلق الإنسان وقصة نوح - عليه السلام-، فقال: (يذكر بنعمة النجاة للإقبال على الشكر، ويسلي هذا النبي الكريم ومن معه من المؤمنين بمن كُذِّبَ قبله من النبيين وأوذي من أتباعهم، ويدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة، كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين، وعلى أن الفلاح بالإرث والحياة الطيبة في الدارين مخصوص بالمؤمنين، كما ذكر أول السورة، فذكر نوحاً؛ لأن قصته أشهر القصص، ولأن قومه كانوا ملء الأرض، ولم تغن عنهم كثرتهم، ولا نفعتهم قوتهم، ولأنه الأب الثاني بعد الأب الأول المشار إليه بالطين، ولأن نجاته ونجاة المؤمنين معه كانت بالفلك المختوم به الآية قبله)<sup>(١)</sup>.

ويرى الرازي مناسبة خاتمة قصة نوح - عليه السلام- بالآيات التي قبلها، فيقول: (بين سبحانه أن فيما ذكره من قصة نوح- عليه السلام- وقومه لآيات ودلالاتٍ وعبراً في الدعاء إلى الإيمان، والزجر عن الكفر؛ فإن إظهار تلك المياه العظيمة ثم الإذهاب بها لا يقدر عليه إلا القادر على كل المقدورات، وظهور تلك الواقعة على وفق قول نوح، وإفناء الكفار وبقاء الأرض لأهل الدين والطاعة من أعظم أنواع العبر)<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا، فإن ما استبعده بيل من المناسبة لا يقوم على دليل أو تدقيقٍ علمي.

وليس ما ذهب إليه هذا المستشرق من أن قوله - تعالى-: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مَبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، يراد به الهجرة من مكة؛ لأن هذا تمزيقٌ للسياق القرآني، ونزعٌ للمعاني عما وردت الآيات به؛ ذلك أن هذا الدعاء تابعٌ للآية السابقة: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، فالمخاطب هو سيدنا نوح - عليه السلام -، وهذا لا علاقة له بالهجرة إلى المدينة.

وكان على بيل أن يتتبع أقوال المفسرين في المراد بالمنزل المبارك، إذ هو على قولين:

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/ ١٩٤-١٩٥).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، (٨/ ٢٧٤).

أحدهما: أن المراد هو السفينة نفسها، فمن ركبها خلصته مما جرى على قومه من الهلاك.

والثاني: أن المراد: أن ينزله الله - تعالى - بعد خروجه من السفينة من الأرض منزلاً مباركاً، والأول هو أقرب؛ لأنه أمر بهذا الدعاء في حال استقراره على السفينة، فيجب أن يكون المنزل ذلك دون غيره<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا، فإن هذه الآية لا تشير إلى التاريخ الزماني للسورة لا من قريب ولا من بعيد كما زعم بيل.

ومما ادعاه بيل من وجود تفكك في نصوص السورة: قوله "إن قوله - تعالى:- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، يرتبط بالآية السادسة والستين ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي عَلَيْكُمْ فَاكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَكِصُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٦]، إذ هذا هو موقعها الرئيس، وإن عبارة (فيما تركت) في قوله - تعالى:- ﴿لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، غير مناسبة في مكانها الحالي، إذ هي أنسب ما تكون مع قوله - تعالى:- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]؛ لأنه بذلك يتضح معنى (فيما تركت) وهو: الأعمال السابقة في الآية الثالثة والستين<sup>(٢)</sup>. يقصد بيل أن الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ كانت متصلة بالآية ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾، لكن النبي - عليه الصلاة والسلام - غير هذا الترتيب، وفك النظم، والسبب في هذا الفصل - على حد زعمه - أن النبي - عليه الصلاة والسلام - رأى في هذا الفصل تهديداً أقوى ضد أهل مكة من الوعظ بالبعث والحساب، ففصل الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، عن الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، وفي ظنه - بيل - أن الترتيب الذي رآه

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (٨/ ٢٧٤).

(٢) Bell, A Duplicate in the Koran, the composition of surah xxiii, P 230.

يجعل الأمر متصلاً بقضية واحدة، أما على الترتيب الحالي: فالموضوعات متباعدة، والمضامين ليست واحدة.

والحق أن هذه دعوى ليس لها ما يسندها من دليل أو برهان، فهي مردودةً بسياق الآيات، ذلك أن قوله - تعالى -: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَفِيقَهُم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿المؤمنون: ٦٣-٦٧﴾، فيه تبيكت وتعنيف للمشركين أصحاب الجاه والمال الذين طغوا وأغوا غيرهم، وتعليل لعدم نصرتهم من الله - تعالى - وعدم إفلاتهم من عذابه، حيث كانت تتلى عليهم آيات الله - تعالى - فلا يستمعون إليها، ويتكبرون عن سماع الحق، وهذا يرجح أنه في الآخرة؛ بدليل الآيات بعدها: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿المؤمنون: ٦٨-٦٩﴾، فهذا كله بيان لما كانوا عليه في الدنيا ولم ينفعهم في الآخرة، قال أبو السعود: (والحق أنه العذاب الأخروي؛ إذ هو الذي يفاجئون عنده بالجوار، فيجابون بالرد والإقنات عن النصر، وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار حسبما ينبئ عنه قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]، فإن المراد بهذا العذاب: ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتماً، وأما عذاب الجوع: فإن أبا سفيان وإن تضرع فيه إلى رسول الله (لكن لم يرد عليه بالإقنات) (١).

ومما يؤكد ذلك أن الآيتين ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضَعُرُونَ﴾ (٧٦) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ ﴿المؤمنون: ٧٦-٧٧﴾، بيّنت أن العذاب هنا عذاب دنيوي، وليس المقصود بهذا العذاب ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَفِيقَهُم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]، فجوراهم حين يعذبون في الآخرة،

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (١٤٢/٦).



والذي يؤكد ترابط قوله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ مع ما قبلها وهو قوله - تعالى -: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣] أن الآية ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ جاءت عقب قوله - تعالى -: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢]؛ فالأعمال تسجل عليهم في كتاب لا يظلمون فيه، وستظهر نتائج هذا السجل يوم القيامة، فأعقب الحديث عن حالهم في الآخرة، وذكرهم بما سجله عليهم من عدم تدبرهم للآيات واستخبارهم عن الحق.

وأما ادعاء (بيل) بأن كلمة (فيما تركت) هي الأعمال السابقة في قوله - تعالى -: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾ فلا يشكل ذلك إشكالاً؛ لأنه يمكن فهم كلمة (فيما تركت) دون الرجوع إلى قوله ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾؛ ذلك أن (تركت) منزلة منزلة الفعل اللازم للعلم بالمفعول لدى المخاطب؛ أي فيما تركت من أعمال، وكون المقصود ما كان في الدنيا، فهي أعمال سابقة، قال ابن جزى الكلبي: (المعنى: أن الكافر رغب في أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن، ويعمل صالحاً في الإيمان الذي تركه أول مرة)<sup>(١)</sup>.

فما تمسك به (بيل) من أن (فيما تركت) أنسب لقوله - تعالى -: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ﴾، فحكّم بناءً على ذلك بعدم الترابط بين ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ و﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾، أقول: ما تمسك به لا يصح، وهو مجافٍ للفهم القويم.

### المطلب الثالث

## دعوى أن في سورة المؤمنين نصوصاً تشكلت وصيغت خارجها ووضعت فيها

يدعي بيل "أن في سورة المؤمنين نصوصاً ليست منها، وقد صيغت هذه النصوص ثم وضعت في هذه السورة، وهذه النصوص هي: قوله - تعالى -:

(١) ابن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٣/٥٦).

﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤]، إلى قوله - تعالى -: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]. وقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]»<sup>(١)</sup>.

وهذه دعوى ليس عليها دليل، فما المانع أن تكون هذه الآيات من نظم السورة؟ هل المانع معنوي؟ على معنى أن معناها لا يتسق مع هدف السورة؟ أو أن المانع من جهة الأسلوب؟ أي أن أسلوب هذه الآيات يختلف عن أسلوب السورة ونظمها؟ والحق أنه لا يوجد مانع لا من هذا ولا من ذاك؛ إذ لو درسنا سياق الآيات هذه مع ما قبلها وما بعدها، يتضح لنا تمام الالتئام والانسجام مع آيات السورة.

فالآيات ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ (٨٧) قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٩١]، فيها بيانٌ للدليل على استحقاق الله - تعالى - للألوهية-، وإقامة البرهان على كونه إلهاً واحداً، وقد جاءت هذه الآيات عقب الحديث عن أفعال الله - تعالى - الذي أنشأ السمع والأبصار والأفئدة وذراً الخلق، وأحيا وأمات، وله اختلاف الليل والنهار، ثم بين الله - تعالى - أن إنكارهم للبعث مثل إنكار من سبقهم من الأمم السابقة، وهذا ناتج عن عدم إيمانهم بقدرة الله - تعالى -، قال ابن عاشور: ﴿قُلْ﴾

Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii., P229.

(١)

لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٥] استئناف استدلال عليهم في إثبات الوجدانية لله - تعالى-، عاد به الكلام متصلاً بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، والاستفهام تقريرى؛ أي أجيبوا عن هذا، ولا يسعهم إلا الجواب بأنها لله، والمقصود: إثبات لازم جوابهم، وهو: انفراده - تعالى- بالوجدانية <sup>(١)</sup>. ويلاحظ كذلك الانسجام في النظم اللفظي في غاية الوضوح، وهذا يللمسه القارئ في خاتمة الآيات، قال الخطيب الإسكافي: (للسائل أن يسأل عن خاتمة الآية الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، وخاتمة الآية الثانية بقوله: ﴿أَفَلَا نُنْقِطُ﴾، وخاتمة الآية الثالثة بقوله ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، وما الذي خص كلاً بمكانه؟) <sup>(٢)</sup>.

وقد أجاب الخطيب الإسكافي عن هذا التساؤل فبين أن "﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ جاءت عقب إنكار البعث من الكفار، فأمر الله النبي (أن يسألهم عن الأرض ومن فيها، فيقرون أن جميع ذلك لخالقها - وهو الله - تعالى- وإذا أقروا بذلك، فقل لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. وفي الآية الثانية: ﴿أَفَلَا نُنْقِطُ﴾، فمن كان مالك السموات والأرض والعرش العظيم، وأقررت له بذلك، فلم لا تجتنبون معصيته ولا تتقون عقوبته؟ وإذا كانت هذه الأجرام العظيمة لا تستغني عنه ساعة، فأنتم في ضعفكم أحوج إلى من يربكم، وأن تقوموا بحق ربانيته لكم. والثالثة: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، جاءت عقب تقرير من الذي ملكه على الأشياء أتم ملك، وهو يمتنع ولا يمتنع منه، فإذا أقروا بذلك، فقل لهم: كيف تخدعون عن عقولكم حتى تتخذوا الأوثان والأصنام آلهة، وهي لا تسمع ولا تبصر مع القادر العليم الذي أقررت له بآتم الملك، ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾، أي من أين يأتاكم ما يغلب على عقولكم، فيخيل الباطل إلهاً حقاً، والقيبح حسناً؟ أم من علمكم بأن الله مالك الأرض ومن فيها؟ أم من علمكم بأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨/١٠٩).

(٢) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣١٨.

أم من علمكم بأن له الملك الأغلب والعز الأغلب، وأنه يَمْنَع ولا يُمنَع منه؟ فهذا الذي ختم به الثالثة نظم معناه بخواتيم ما قبله، وكلُّ في مكانه اللائق به<sup>(١)</sup>. وعلى هذا، فإن السياق متصل بعضه ببعض، ومنسجمٌ تمام الانسجام.

وأما قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فإنه يتوافق مع ما قبله وما بعده؛ فقد سبق هذه الآية تعليل نزول العذاب على كفار مكة، وبيان استكبارهم وطعنهم على القرآن، وعدم تدبرهم للقول، وقد استنكر القرآن عليهم موقفهم هذا، وبين أن النبي - عليه الصلاة والسلام - جاءهم بالحق، وأكثرهم للحق كارهون.

قال البقاعي: (ولما كان ربما قيل: ماله ما كان بحسب أهوائهم فكانوا يتبعونه، ويستريح ويستريحون من هذه المخالفات التي جرت إلى المشاحنات، فأوجبت أعظم المقاطعات؟ قال مبيناً فساد ذلك، ولعله حال من فاعل كاره، فإن جزاءه خبري مسوغٌ لكونه حالاً كما ذكره الشيخ سعد الدين في بحث المسند، أو هو معطوف على ما تقديره: فلو تركوا الكره لأحبوه، ولو أحبوه لاتبعوه، ولو اتبعوه لصلحوا وأصلحوا) ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ﴾ أي في الأصول والفروع والأفعال والأقوال ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي شهواتهم التي تهوي بهم؛ لكونها أهواءً بما أشار إليه الافتعال ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ﴾ على علوها وإحكامها ﴿وَالْأَرْضُ﴾ على كثافتها وانتظامها ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم، بسبب ادعائهم تعدد الآلهة، ولو كان ذلك حقاً لأدى ببرهان التمانع<sup>(٢)</sup> إلى الفساد<sup>(٣)</sup>.

(١) الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٣١٩ - ٣٢٠ بتصرف.

(٢) برهان التمانع هو: أن يفترض وجود إلهين، فأراد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه، فلا جائز أن ينفذ مرادهما؛ لئلا يلزم عليه اجتماع الضدين، ولا جائز أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر؛ للزوم عجز من لا ينفذ مراده، والآخر مثله؛ لانعدام المماثلة بينهما. انظر: اللقاني، شرح جوهرة التوحيد، ص ٦، أحمد بن عيسى الأنصاري، شرح أم البراهين، ص ٤٣.

(٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٥/٢١٣).

وقد كشف ابن عاشور جانباً من الانسجام المعنوي واللفظي في هذه الآية، فقال: (المعنى: بل جاءهم بالحق فكفروا به كلهم، فأما أكثرهم فكراهيةً للحق، وأما قليل منهم مصانعةً لسائرهم، وقد شمل الكفر جميعهم، وتقديم المعمول في قوله ﴿لِالْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ زيادة في التشنيع على أهوائهم؛ فإنها مفضية الى فساد العالم ومن فيه، وكفى بذلك فظاعةً وشناعةً، والحق المتقدم في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، الشيء الموافق للوجود الواقعي ولحقائق الأشياء، وعلم من قوله: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أن كراهة أكثرهم للحق ناشئة من كون الحق مخالفاً أهواءهم، فسجل عليهم أنهم أهل هوى<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا، فإن ما ادعاه بيل من عدم التناسق بين الآيات المذكورة مع موضوعات السورة، ليس له أساس علمي، ولا يثبت أمام البحث العلمي الصحيح.

### المطلب الرابع

#### التشكيك في قرآنية بعض الآيات في سورة المؤمنين (الأدعية القصيرة)

شكك بيل بقرآنية بعض الآيات في القرآن الكريم، وجاء بادعاءين في هذا المقام: ادعاء عام، فهو يدعي: "أنه في شك دائم في قرآنية الأدعية التي ترد في القرآن، حيث يكون المرء في حيرة من أمر هذه الأدعية خصوصاً في آخر السورة"<sup>(٢)</sup>.

وأما ادعاؤه الخاص: فهو في سورتي المؤمنين، حيث يرى "أن قول الله - تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١٦] يتبع في الأصل الآيات: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُ مَا

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٩١/١٨).

(٢) Bell, A Duplicate in the Koran, the composition of surah xxiii, P 230.

يُوعِدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ  
نُزِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدْ رُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا  
يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ  
رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿المؤمنون: ٩٣-٩٨﴾، وأن هذه الآيات هي الخاتمة الأصلية  
للسورة، لكن حصل هناك تغيير واستبدال<sup>(١)</sup>.

وقبل الإجابة عن هذه الدعاوى، يظهر تساؤل مهم هنا:

ما هو المعيار الذي يعتمد به بيل في عد الشيء قرآنًا وعدم عده كذلك؟  
والحق أن بيل لم يبين لنا مقياساً محدداً في هذا الشأن، فكلامه على شفا  
جرف هار.

أما ما ادعاه من عدم قرآنية الآيات المذكورة، فيجاب عن ذلك بأمور:

أولاً: أين موقع الآية ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ [المؤمنون:  
١١٨] التي في آخر السورة؟ لم يعطنا بيل جواباً عن مكانها.

ثانياً: هذه أدعية علمها الله - تعالى - نبيه - عليه الصلاة والسلام - وهي  
قرآن، يعلمه الله - تعالى - كيف يدعو ويبتهل ليعلم أمته، وليس شرطاً  
أن تبدأ الأدعية في القرآن ب- (قل)، فالفاتحة مثلاً ابتهاًل ودعاءً، وأواخر  
البقرة كذلك، فهي قرآنٌ ودعاءٌ كذلك.

وفي أواخر آل عمران بيانٌ لدعاء المؤمنين المتفكرين، وفي أواخر سورة  
الفرقان يخبر الله - تعالى - عن أدعية المؤمنين وتضرعهم لله - تعالى -،  
ومثل هذا في القرآن كثيرٌ، فهل هذا موضع ريبٍ وترددٍ في قبول  
قرآنيته؟ اللهم لا.

ولو نظر بيل في آيات الدعاء الصريحة في القرآن، لوجد أن لفظ (يا رب)  
ذكر مرتين، ولفظ (رب) ذكر ستاً وخمسين مرةً، ولفظ (اللهم) ذكر

Bell, ADuplicate in the koran, The composition of surah xxiii., P 231.

(١)

خمس مرات، ولفظ (ربنا) ذكر خمسين مرة، فيبلغ المجموع مئة وثلاث عشرة مرة.

ثالثاً: هل عرف أن من عادة القرآن أن يختم السورة التي تتضمن الدعاء بتلك الأدعية؟ أو أن بيل يجعل ذلك مقياساً يقيس عليه؟ هل يريد بيل أن يقيس سورة المؤمنين على سورة الإسراء التي ختمت بقوله - تعالى-: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئٌ مِّنَ الذِّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيراً﴾ [الإسراء: ١١١] أو على سورة النمل حيث ختمت بـ قوله - تعالى-: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣]، أو على سورة الصافات حيث ختمت بـ قوله - تعالى- ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٧٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٧١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]؟.

إنَّ خواتيم كل سورة من تلك السور - كما هو الشأن في جميع سور القرآن- تتصل اتصالاً وثيقاً بما قبلها وما بعدها، وكان على بيل أن يدرس ذلك جيداً، فكل سورة لها خصوصيتها ونمطها المستقل بترتيبها وموضوعاتها.

رابعاً: أمّا ما ادعاه بيل من أنَّ الخاتمة الأصلية لسورة المؤمنين كانت بتلك الأدعية القصيرة ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ الآيات، فالسؤال: أين الاتصال بين قوله - تعالى-: ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ﴾ الآية مع هذه الآيات؟ إنَّ هذه الآية والتي قبلها: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. تبين أن البعث حق، وأن هذا لا يقدر عليه إلا الملك الحق الذي يستحق أن يعبد وحده، فهو رب العرش الكريم، وأمّا الآيات التي تتضمن الأدعية، فهي تثبت للنبي - صلى الله عليه وسلم- على موقفه من الدعوة، وأنه مطلوب منه الصبر، وأنه لن يقدر عليه الإنس والجن؛ لأن الله - تعالى- يعينه وينصره.

قال أبو السعود في قوله - تعالى-: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

الشَّيَاطِينِ ﴿[المؤمنون: ٩٧]: (أمر صلى الله عليه وسلم بأن يعوذ به - تعالى - من حضورهم بعدما أمر بالعوذ من همزاتهم؛ للمبالغة في التحذير من ملابساتهم، وإعادة الفعل مع تكرير النداء؛ لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به، وعرض نهاية الابتهاال في الاستدعاء؛ أي أعوذ بك من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال، وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة - رحمه الله-؛ لأنها أخرى الأحوال بالاستعاذة منها، ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾، حتى هي التي يبتدأ بها الكلام، دخلت على الجملة الشرطية، وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون، وما بينهما اعتراض مؤكد للإغضاء بالاستعاذة به - تعالى - من الشياطين أن يزلوه ﷺ ويغروه على الانتقام<sup>(١)</sup>.

والسورة قد ختمت ببيان ألوهيته - سبحانه-، وبَيَّنَّتْ أن من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به، وسيلقى حسابه عند ربه، حيث لا فوز ولا فلاح، وجاء التوجيه في آخر السورة إلى طلب المغفرة والرحمة ممن له الملك والتصرف في الأمور، قال - تعالى -: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]، قال البيضاوي: (بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين)<sup>(٢)</sup>.

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (٦/١٤٩).

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل وبهامشه حاشية الكازروني، (٤/٧٢)، وانظر: القونوي، حاشية القونوي، (١٣/٢٤٢).



## المبحث الثالث

### طعن بيل في لغة سورة المؤمنين

#### المطلب الأول

##### الطعن في كلمة (سامراً)

يرى بيل أن "كلمة (سامراً) الواردة في قوله - تعالى -: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] خطأ لغوي، ويقترح بدلاً منها كلمة (سامرين)؛ لأنها تدل على الجمع" (١).

وكان على بيل قبل الهجوم على لغة القرآن أن يراجع العربية جيداً، وأن يتفهم أساليب العرب في التعبير، وأن يعرف أنواع المجازات اللغوية، ثم يتأمل في هذه الكلمة ملياً قبل إصدار حكمه.

فكلمة (سامراً) فيها مجازٌ مرسلٌ، علاقته الاشتقاق، حيث تقام صيغةً مقام أخرى، إذ (يطلق المصدر على المفعول، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]؛ أي مصنوعه، أو يطلق الفاعل على المفعول، كما في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جِبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِفِينَ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي لا معصوم، وقد يطلق المفعول على الفاعل، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] (٢).

وقد يطلق المفرد ويراد به الجمع، ولهذا نظائرٌ في القرآن، من ذلك: قوله -

(١) Bell, A Duplicate in the Koran, the composition of surah xxiii, P 230.

(٢) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ١٨٢ - ١٨٣.

تعالى:- ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ﴾ [الحاقة: ٤٧]. فكلمة "مِنْكُمْ" أفادت الجمع والعموم.

وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد، قال ابن العربي: (قد ينطلق لفظ الجماعة على الواحد، تقول العرب: نحن فعلنا، وتريد القائل لنفسه خاصة، وقد قال - تعالى:- ﴿هَٰذَا نِ خَصْمَانِ اخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]، وقال - تعالى:- ﴿وَهَلْ أَنتَ نَبُوءُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]، ثم قال: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢]، وقال: ﴿إِنْ نُنُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، وقال - تعالى:- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وكان واحداً، وهذا كله صحيح في اللغة سائغ لكن إذا قام عليه الدليل<sup>(١)</sup>.

إن كلمة (سامراً) واردة على النهج العربي في الاستعمال، قال البيضاوي: (وهو في الأصل مصدرٌ جاء على لفظ الفاعل)<sup>(٢)</sup>.

وقد انطوت هذه الكلمة على غرضٍ بلاغي، قال الطبري: (ووجد قوله (سامراً) وهو بمعنى السّمار؛ لأنه وضع موضع الوقت، ومعنى الكلام: وتهجرون ليلاً، فوضع السامر موضع الليل، فوحد لذلك)<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، (١/٣٤٠-٣٤١) باختصار.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل وبهامشه حاشية الكازروني (٤/٦٨)، وانظر النسفي، مدارك التنزيل، (٢/١٣٩)، وانظر: النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، المجلد الخامس، (١٧/١٢٨). الجمل، الفتوحات الإلهية، (٥/٢٤٨).

(٣) انظر الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، المجلد التاسع، (١٧/٣٠).

وقال ابن العربي: ((سامراً) لفظ يستعمل في الليل والنهار، وإذا خرج الكلام عن الفاعل أو الفعل إلى الوقت وُحِدَ؛ ليدل على خروجه عن بابه) <sup>(١)</sup>.

وقال البقاعي: (ولعله إنما قال: (سامراً) بلفظ المفرد؛ لأن كلاً منهم يتحدث في أمر الآيات مجتمعاً مع غيره، ومنفرداً مع نفسه حديثاً كثيراً، كحديث المسامر الذي من شأنه أن لا يمل، وقال (تهجرون) أي تعرضون عنها، وتقولون فيها القول الفاحش، فأسنده إلى الجمع؛ لأن بعضهم كان يستمعها، ولم يكن يفحش القول فيها، أو تعجيباً من أن يجتمع جمعٌ مثل ذلك؛ لأن الجمع جديرٌ بأن يوجد فيه من يبصر الحق فيأمر به) <sup>(٢)</sup>.

وعند ابن عاشور أن كلمة (سامراً) تعني مجلس السمر، فتكون الكلمة منصوبةً على نزع الخافض، قال في تفسيره: (وعندي: أنه يجوز أن يكون (سامراً) مراداً منه مجلس السمر، حيث يجتمعون للحديث ليلاً، ويكون نصبه على نزع الخافض؛ أي: في سامركم، كما قال - تعالى -: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، و(تُهْجِرُونَ) بضم التاء وسكون الهاء وكسر الجيم في قراءة نافع مضارع أهجر، إذ قال الهُجْر بضم وسكون الجيم، وهو اللغو والسب والكلام السيئ، وقرأ بقية العشرة بفتح التاء؛ من هجر إذا لغا، والجملة في موضع صفة لـ (سامراً)؛ أي في حال كونكم متحدثين هجراً، وكان كبراء قريش يسمرون حول الكعبة، يتحدثون بالطعن في الدين، وتكذيب الرسول ﷺ) <sup>(٣)</sup>.

وعلى جميع الأحوال، فسواءً أكان لفظ (سامراً) فيه مجاز مرسل علاقته الاشتقاق، أم كان فيه الجمع (سماًراً)، أم أريد به مجلس السمر، فإنه سائرٌ على أساليب العربية القويمة، وكان على بيل أن يبحث في هذه الأساليب قبل أن يصدر حكمه بوجود خطأ لغوي في هذا اللفظ القرآني.

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، طبعة دار الكتب العلمية، (٣/٣٢٥).

(٢) البقاعي، نظم الدرر، (٥/٢١١).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨/٨٦).

## المطلب الثاني

### الطعن في حرف (أم) الذي يفيد الإضراب

يعترض بيل على حرف (أم) في قوله - سبحانه تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ووجه اعتراضه "أن حرف (أم) يوحي بأن الرسالة قد وصلت إلى آبائهم الأولين، والصواب أن يستبدل هذا الحرف بـ (إذ)؛ لأن الرسالة المحمدية لم تأت آباءهم الأولين" (١).

وهذا الذي ادعاه بيل يدل على جهله باللغة، وقلة حظه في الأخذ بفنونها وعلومها، بل هو مفتقر إلى مراجعة أقوال أئمة اللغة والتفسير حول استعمال (أم)، إذ هي على ضربين:

إما: متصلة، وإما منقطعة، ولكل استعماله، قال ابن هشام: (أم على قسمين: متصلة، ومنقطعة، وتسمى أيضاً: منفصلة، فالمتصلة: هي المسبوقة إما بهمزة التسوية، وهي: الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها، نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، ألا ترى أنه يصح أن يقال: سواء عليهم الإنذار وعدمه، أو بهمزة يطلب بها وبـ (أم) التعيين، نحو: أزيد في الدار أم عمرو؟ وسميت أن في النوعين متصلة؛ لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن الآخر، والمنقطعة: ما عدا ذلك، وهي بمعنى: بل، وقد تتضمن مع ذلك معنى الهمزة، وقد لا تتضمنه، فالأول نحو: ﴿أَمْ أُتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفُنَّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦]، أي: بل أتخذ؟ بهمزة مفتوحة مقطوعة للاستفهام الإنكاري، ولا يصح أن تكون في التقدير مجردة من معنى الاستفهام المذكور، والإلزام إثبات الاتخاذ، وهو محال، والثاني: كقوله - تعالى -: ﴿هَلْ يَسْتَوِي

Bell, A Duplicate in the Koran, the composition of surah xxiii, P 230.

(١)

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴿الرعد: ١٦﴾؛ أي: بل هل يستوي؛ وذلك لأن (أم) اقترنت بـ (هل)، فلا حاجة إلى تقديرها بالهمزة (١).

وللرد على طعن بيل هذا، لابد من التأمل في الآيات التي ورد فيها هذا الحرف، قال الله -تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿المؤمنون: ٦٨-٧٠﴾.

يلحظ أن هذه الآيات جاءت بياناً لعلّة وقوع العذاب على الكافرين؛ إذ يظهر فيها التبكيت لهم والبيان لضلالتهم، ومنها: أنهم إذ تليت عليهم آيات القرآن نكصوا على أعقابهم وطعنوا في القرآن، وهنا يعنفهم القرآن، وينكر عليهم موقفهم هذا، وتجيء (أم) المنقطعة التي فيها معنى الإضراب والانتقال من توبيخ إلى آخر، قال أبو السعود: (و (أم) في قوله - تعالى - ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، منقطعة، وما فيها من معنى (بل) للإضراب وللانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ إلى آخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع؛ أي أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه واستبدعوه، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال، يعني أن مجيء الكتب من جهته - تعالى - إلى الرسل - عليهم الصلاة والسلام - سنة قديمة له - تعالى - لا يكاد يتسنى إنكاره، وأن مجيء القرآن على طريقته، فمن أين ينكرونه؟ وقيل: أم جاءهم من الأمن من عذابه - تعالى - ما لم يأت آباءهم الأولين كإسماعيل - عليه السلام - وأعقابه من عدنان وقحطان، ومضر، وربيعه، وقس، والحرث بن كعب، وأسد بن خزيمة، وتميم بن مرة، وتبع وضبة بن أد، فأمنوا به - تعالى - وبكتبه ورسله وأطاعوه (٢). وقال الألوسي: ﴿أَفَلَمْ

(١) ابن هشام، شرح شنور الذهب، ص ٣٩٠، مغني اللبيب، (١/ ١٤٣)، وانظر: الأنباري، أسرار العربية، ص ٢٧٠، المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٢٠٥ - ٢٠٦، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٤ / ١٥٨)، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (٢/ ٢٤٧).

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (٦/ ١٤٣).

يَذَرُوا الْقَوْلَ ﴿﴾ الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام؛ أي: أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر، فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجود الإعجاز أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به).<sup>(١)</sup> فالمقصود بهذا الاستفهام: الإنكار على هؤلاء المعاندين استبعادهم أن يأتيهم دين التوحيد، وإثبات البعث، قال ابن عاشور: ((أم) حرف إضراب انتقالي من استفهام إلى غيره، وهي (أم) المنقطعة، بمعنى: (بل)، ويلزمها تقدير استفهام بعدها لا محالة، فقوله: ﴿﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾﴾ تقديره: بل أجاءهم، والمجئ: مجاز في الإخبار والتبليغ، وكذلك الإتيان، و(ما) الموصولة صادقة على دين، والمعنى: أجاءهم دين لم يأت آباءهم الأولين؟ وهو الدين الداعي إلى توحيد الإله، وإثبات البعث، ولذلك كانوا يقولون: ﴿﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾﴾ [الزخرف: ٢٢] (٢).

وعلى هذا، فإن اعتراض بيل ليس له محل من الحقائق، وفيه من البعد عن فهم اللغة والسياق ما لا يخفى.

(١) الألويسي، روح المعاني، (١٨/٥٠).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨/٨٨).

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد هذه الدراسة التحليلية النقدية لآراء المستشرق ريتشارد بيل في نظم سورة المؤمنين، التي انطوت على مناقشة علمية ومراجعة في البحث والدرس، أرى من المناسب أن أسجل بعض النتائج والملاحظات، أبرزها في نقاطٍ على النحو الآتي:

أولاً: سورة المؤمنين من السور المكية، التي عالجت موضوعات في العقيدة، بيّنت قدرة الله - تعالى - في الخلق، ومبدأ الثواب والعقاب، وليس فيها ما يدل على مدنيّتها كما زعم بيل.

ثانياً: ما ادعاه بيل من مدنية السورة لم يقم على دليل علمي معتمد، فقد ادعى مدنيّتها بناءً على ورود بعض الموضوعات، وهي موضوعات مشتركة بين السور المكية والمدنية، وزعم أن السورة مدنية لورود بعض الكلمات فيها، حيث لم يظهر له ورودها في السور المكية، مثل كلمة (طين) و(سبع طرائق)، وهذا غير صحيح؛ لأن كلمة (طين) وردت في السور المكية، وكذلك كلمة (سبع طرائق).

ونذكر - أيضاً - ما يقرب من مدلولها (سبع سمواتٍ طباقاً) و (السماء ذات الحبك)، ولم يرد شيء من ذلك في السور المدنية.

ثالثاً: أقام بيل معظم بحثه على الاحتمالات والظن، وهذا لا تقوم به حجة، ولا يثبت به مدعى.

رابعاً: أكثر بيل من طعوناته حول أسلوب السورة، وادّعى وجود التكرار فيها، وذهب إلى أن ذلك دليلٌ على إقحام بعض النصوص القرآنية مكان أخرى، وأتى بالأمثلة الدالة على ذلك - على حسب زعمه -، وقد تبين جنوحه عن الصواب فيما مثّل له.

خامساً: ذهب بيل إلى أن هناك نصوصاً من السورة صيغت وأدخلت في هذه

السورة في وقت متأخر، حيث لا رابط يربطها بموضوع السورة، وقد مال بيل عن الحق في ذلك؛ إذ لم يقم بدراسة التناسب والانسجام في ترتيب الآيات.

سادساً: شك بيل في قرآنية الآيات التي تضمنت الدعاء في السورة بشكل خاص، والآيات التي تضمنت الدعاء في السور القرآنية الأخرى بشكل عام، ولم يقدم أدلة مقنعة تؤيد شكوكه واضطرابه في شأنها، وقد تبين من خلال النظر في هذه الآيات وربطها بسياقها مدى انسجامها مع موضوعات السورة.

سابعاً: لم يعن بيل بالسياق القرآني للسورة، ولم يلتفت إليه ألبتة، مما جعله ينزلق في ادعاءاته وطعوناته حول أسلوب السورة.

ثامناً: وجه بيل طعوناً حول لغة السورة، ومن ذلك: طعنه في صحة كلمة (سامراً)؛ حيث يرى أن الأفراد خطأ لغوي، واقترح بدلاً منها كلمة (سامرين)؛ لتناسب الجمع، وطعن في حرف (أم) في قوله - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]؛ ورأى أن الأنسب أن يوضع حرف (إذ)؛ لتدل على أن الرسالة المحمدية لم تصل إلى آبائهم الأولين، وقد ضلّ بيل؛ حيث لم يدقق في العربية جيداً؛ إذ إن كلمة (سامراً) جرت على استعمالات العرب في إطلاق الأفراد وإرادة الجمع، وأن حرف (أم) هو للإضراب مع الاستفهام، وقد جاء ذلك منسجماً مع سلسلة الإضرابات المتوالية بـ (أم) في السورة.

وقد ظهر خلال البحث أن المستشرق بيل لم يتفق مع الحقائق العلمية والأساليب اللغوية في دراسته لنظم سورة المؤمنين.

وبعد، فهذا مما فتح الله - تعالى - به عليّ، فإن كنت وفقت فيما قدّمت من جهد، فبفضل من الله - تعالى - وتوفيقه، وإن لم يصبني التوفيق، فأسال الله - تعالى - المغفرة والسداد، إنه ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## المصادر والمراجع

- الإسكافي، الخطيب، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- الأنباري، عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيدالله بن أبي سعيد، أسرار العربية، تحقيق: دفخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- الأنصاري، أحمد بن عيسى، شرح أم البراهين، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وبهامشه حاشية الكازروني، مؤسسة شعبان، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، علق على حواشيه: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- الجمل، سليمان بن عمر، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق

- الخفية، ضبط: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١١هـ.
- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، المكتبة الحديثة للطباعة، ط١ - ٢٠٠٢م.
- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- السمين، الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإِتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمود أحمد القيسية، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الصاوي، أحمد المالكي، حاشية العلامة الصاوي على الجلالين، دار الفكر، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م.
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ومطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، بدون تاريخ للنشر.
- الغرناطي، ابن الزبير أحمد بن إبراهيم، ملاك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- القزويني، محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٤، ١٩٩٨م.
- القونوي، إسماعيل بن محمد، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الفحاء، دمشق، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبدالقادر احمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ.
- اللقاني، إبراهيم، شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- النيسابوري، الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- ابن هشام، عبدالله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب، وبهامشه حاشية الشيخ محمد الأمير، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بدون طبعة، بدون تاريخ للنشر.
- Bell, Ritchard, A Duplicate in the Koran, The composition of surah xxiii, Muslim world, July, 1928, pp227-233.
- Ede. David. Guide to Islam, the Asian philosophies and religious, 70 Lincoln street. U.S.A.
- [Http://en.wikipedia.org/wiki/Ritchard bell](http://en.wikipedia.org/wiki/Ritchard_bell).
- [www.Answering-islam.org/Books/index.htm](http://www.Answering-islam.org/Books/index.htm).